

# قصر الأنبياء

## إسماعيل عليه السلام

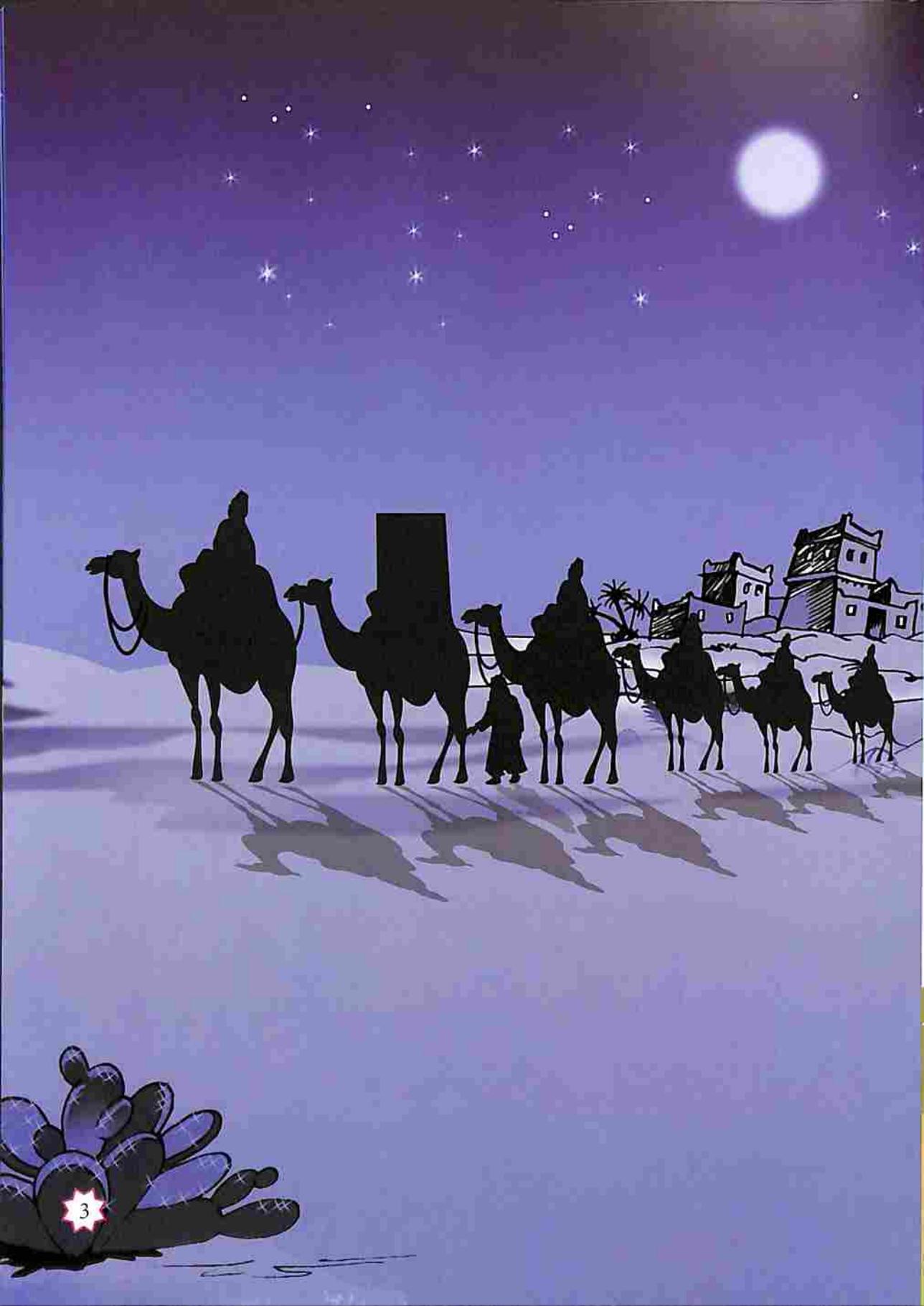


المركز العربي الحديث

رسوم  
عبدالمرضي عبيد

## إسماعيل (عليه السلام)

مَرَّتْ سَنَوَاتٌ طَوَالَ دُونَ أَنْ تُنَجِبَ السَّيِّدَةُ سَارَّةً،  
وَعِنْدَهَا وَهَبَتْ هَاجِرَ - جَارِيَتَهَا - إِلَى زَوْجِهَا  
إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَام) لِيَتَزَوَّجَهَا؛ عَسَاهُ أَنْ يُنَجِبَ  
مِنْهَا، وَبِالْفِعْلِ رَزَقَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَام)  
ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَى كِبَرٍ، ثُمَّ هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ (عَلَيْهِ  
السَّلَام) بِابْنِهِ الرَّضِيعِ إِسْمَاعِيلَ وَزَوْجَتِهِ هَاجِرَ  
إِلَى حَيْثُ تُوُجِدُ مَكَّةَ حَالِيًا، وَتَرَكَهُمَا هُنَاكَ،  
وَتَرَكَ مَعَهُمَا بَعْضَ التَّمْرِ وَالْمَاءِ، وَعِنْدَمَا أَدَارَ  
ظَهْرَهُ يُرِيدُ الرَّجُوعَ إِلَى فِلَسْطِينَ تَبِعْتُهُ هَاجِرُ،  
وَتَعَلَّقَتْ بِثِيَابِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ  
وَتَتْرُكُنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَيْسَ بِهِ زَرْعٌ وَلَا  
مَاءٌ وَلَا إِنْسَانٌ، هَلْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِهَذَا؟  
أَجَابَهَا إِبْرَاهِيمُ (عَلَيْهِ السَّلَام): نَعَمْ. فَقَالَتْ: إِذَنْ  
فَلَنْ يَضِيعَنَا.

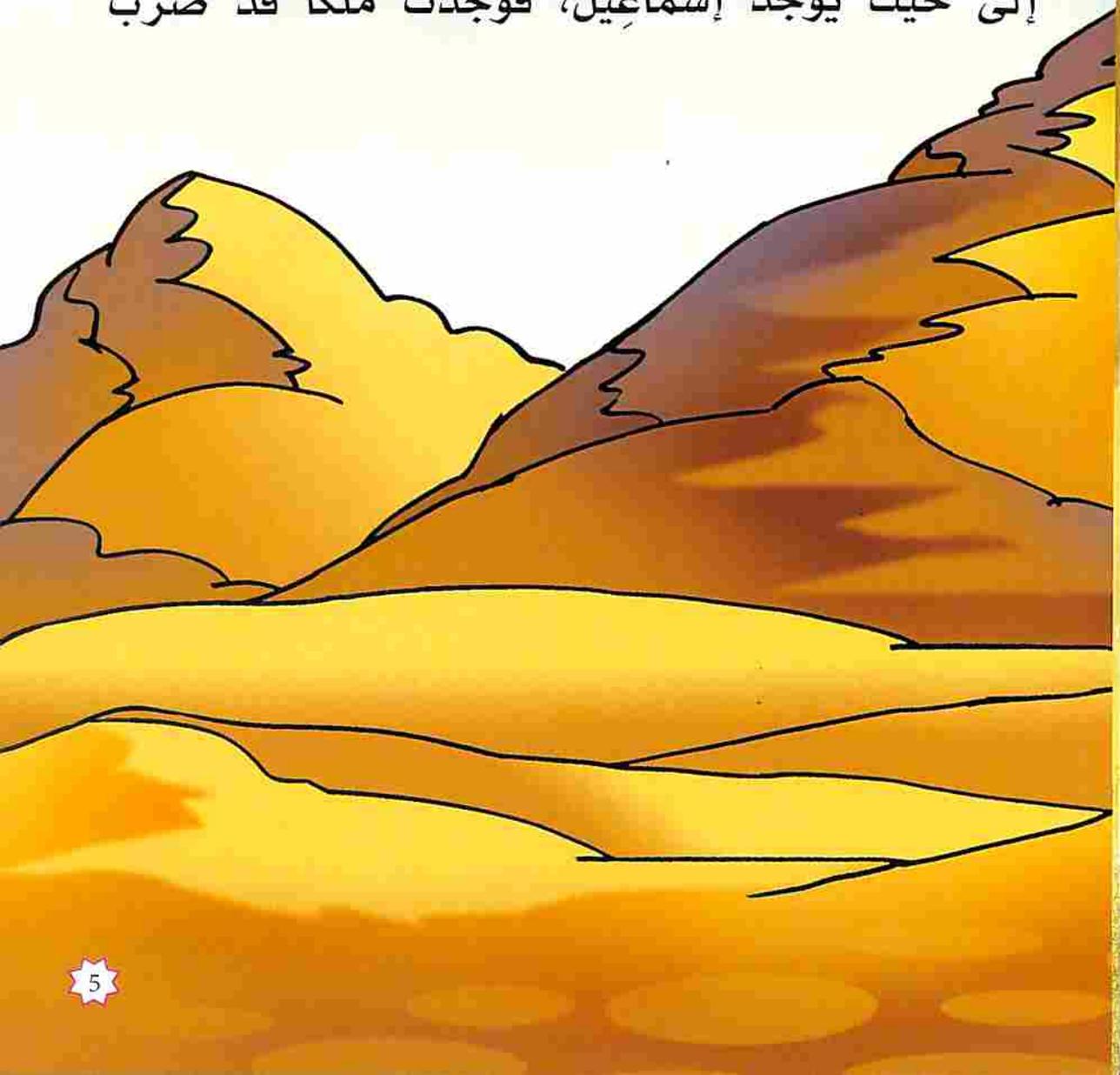


وَسَارَ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَام) عَائِدًا، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ  
زَوْجَتَهُ وَأَنْ يَجْمَعَ النَّاسَ فِي هَذَا الْمَكَانِ لِيَذْهَبَ عَنْهُ  
وَحَشَتَهُ.

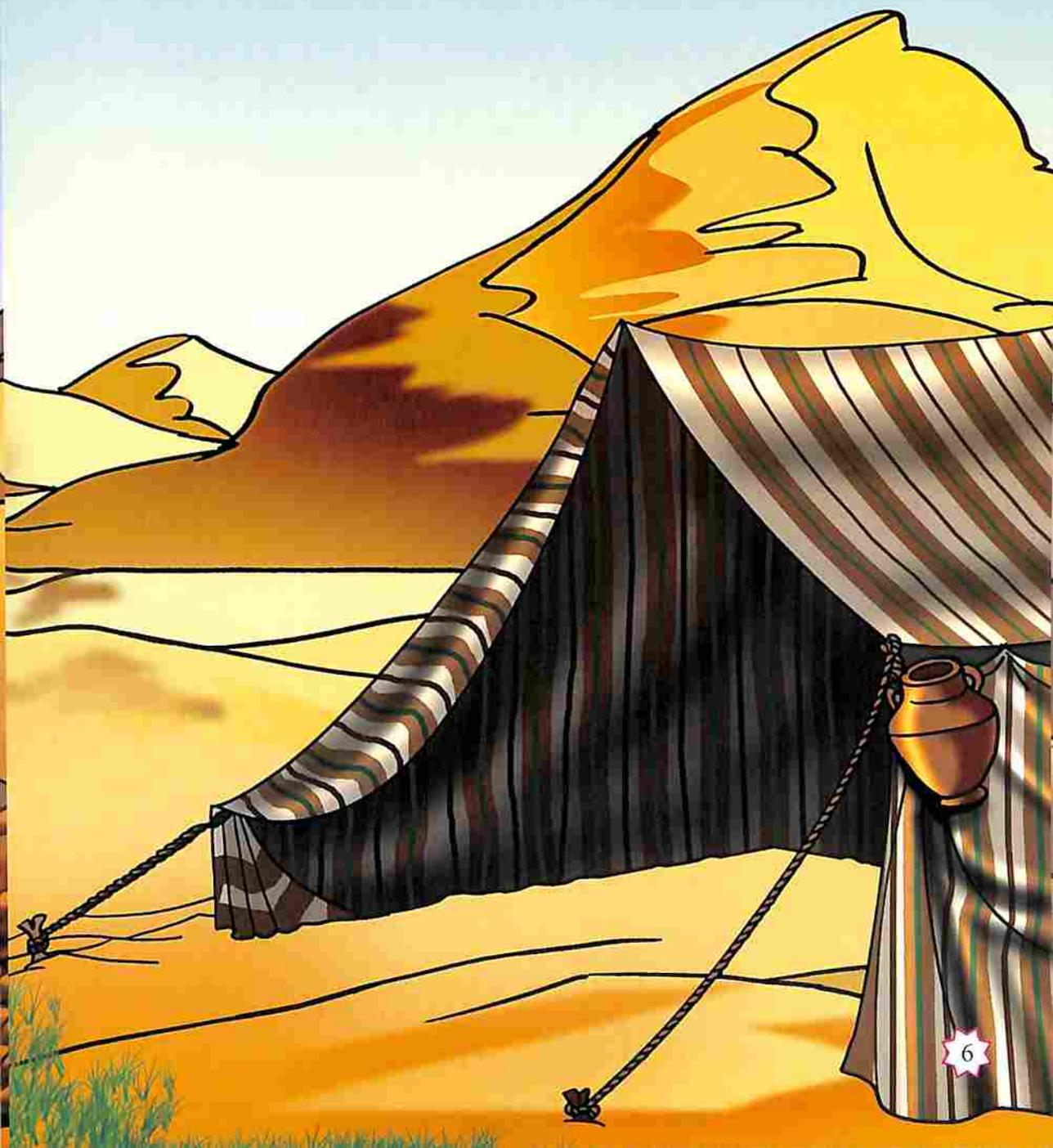
ظَلَّتْ هَاجِرٌ تَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ وَتَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ وَتُرْضِعُ  
وَلَدَهَا، حَتَّى نَفِدَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ، وَصَرَخَ إِسْمَاعِيلُ

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي  
بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ  
الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ  
فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي  
إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ  
لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ {٣٧} سورة إبراهيم

الرَّضِيعُ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ ، وَبَحَثَتْ هَاجِرٌ حَوْلَهَا فَلَمْ  
تَجِدْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ، فَصَعَدَتْ أَقْرَبَ جَبَلٍ إِلَيْهَا ، وَهُوَ  
جَبَلُ الصَّفَا ، وَنَظَرَتْ فَلَمْ تَجِدْ أَحَدًا ، ثُمَّ صَعَدَتْ جَبَلِ  
الْمَرْوَةِ ، وَنَظَرَتْ فِي الْجِهَةِ الْأُخْرَى فَلَمْ تَجِدْ أَحَدًا ،  
وَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَفِي الْمَرَّةِ السَّابِعَةِ نَظَرَتْ  
إِلَى حَيْثُ يُوجَدُ إِسْمَاعِيلُ ، فَوَجَدَتْ مَلَكًا قَدْ ضَرَبَ



الأرضَ فأنفَجرتُ بئرَ زمَزمَ بِقُدرةِ اللهِ - عزوجل.  
بَعْدَ ظُهُورِ البئرِ مرَّ أشخاصٌ مِنْ قَبيلَةِ جُرهمَ  
-العَرَبِيَّةِ- بِالقُرْبِ مِنَ المَكَانِ، فَجَلَسُوا يَسْتَرِيحُونَ،



وَبَعَثَ زَعِيمُ الْقَوْمِ رَجُلَيْنِ، وَقَالَ لَهُمَا: ابْحَثَا لَنَا عَنْ  
مَاءٍ فِي هَذَا الْمَكَانِ. فَذَهَبَ الرَّجُلَانِ، وَوَجَدَا السَّيِّدَةَ  
هَاجِرًا وَابْنَهَا إِسْمَاعِيلَ بِجَوَارِ بئرِ زَمْرَمَ، فَرَجَعَا إِلَى  
قَوْمِهِمَا وَقَالَا: وَجَدْنَا سَيِّدَةً، وَمَعَهَا طِفْلٌ بِجَوَارِ بئرِ،  
وَلَيْسَ مَعَهُمَا أَحَدٌ.



فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ جَمِيعًا إِلَىٰ حَيْثُ تُوُجِدُ هَاجِرٌ  
وَإِسْمَاعِيلُ، وَقَالُوا لَهَا : أَتَأْذِنِينَ لَنَا بِالنُّزُولِ  
وَالْإِقَامَةِ مَعَكُمْ؟ فَقَالَتْ هَاجِرٌ: نَعَمْ، أَذْنُ لَكُمْ.  
وَعَمْرَ الْمَكَانِ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَأْتِي إِلَىٰ زَوْجَتِهِ  
وَأَبْنِهِ مِنْ حِينِ إِلَىٰ آخِرِ يَزُورُهُمْ وَيَطْمَئِنُّ عَلَىٰ  
أَحْوَالِهِمْ، وَمَرَّتْ سِنَوَاتٌ ، كَبَرَ إِسْمَاعِيلُ (عَلَيْهِ  
السَّلَامُ) وَشَبَّ وَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْ قَبِيلَةِ  
جُرْهُمِ.

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ رَأَىٰ إِبْرَاهِيمُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي  
مَنَامِهِ أَنَّهُ يَذْبَحُ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ، وَكَانَ ذَلِكَ وَحِيًّا  
مِنَ اللَّهِ، فَسَارَعَ بِتَنْفِيذِ أَمْرِ اللَّهِ، وَعَرَضَ الْأَمْرَ  
عَلَىٰ ابْنِهِ حَتَّىٰ لَا يُفَاجِئَهُ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَىٰ فِي  
مَنَامِي أَمْرًا مِنَ اللَّهِ أَنْ أَذْبَحَكَ.

قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي  
أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى {١٠٢} الصافات

لَمْ يَخَفْ إِسْمَاعِيلُ (عليه السلام) ، بَلْ قَالَ فِي صَبْرٍ وَإِيمَانٍ : أَفْعَلُ مَا أَمَرَكَ بِهِ اللَّهُ.

وَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ (عليه السلام) سَكِينًا حَادًا،

وَبَعْضَ الْحِبَالِ، وَذَهَبَ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ (عليه

السلام) مُسْتَسْلِمِينَ لِقَضَاءِ اللَّهِ، وَعِنْدَمَا وَضَعَ

إِبْرَاهِيمُ (عليه السلام) السَّكِينَ عَلَى رَقَبَتِهِ

إِسْمَاعِيلُ لَمْ تَفْعَلْ شَيْئًا، وَهُنَا يَسْمَعُ إِبْرَاهِيمُ

(عليه السلام) نِدَاءً مِنَ السَّمَاءِ: يَا إِبْرَاهِيمُ،

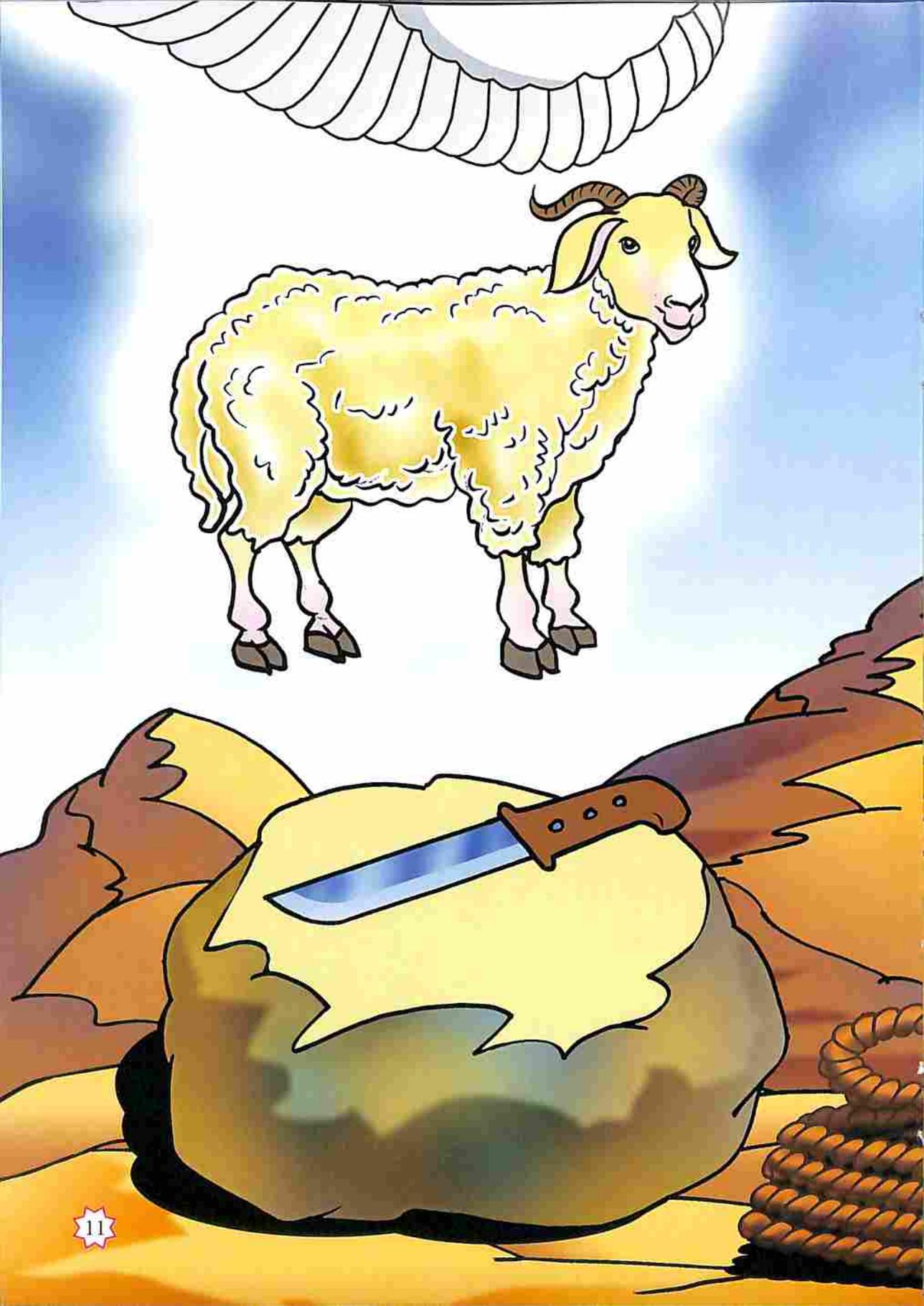
قَدْ عَفَوْنَا عَنْ ابْنِكَ، قَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنَ

الِاخْتِبَارِ، وَهُوَ الطَّاعَةُ.

وَيَلْتَفِتُ إِبْرَاهِيمُ (عليه السلام) خَلْفَهُ فَيَجِدُ

كَبْشًا عَظِيمًا، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِذَبْحِ هَذَا

الْكَبْشِ فِدَاءً لِإِسْمَاعِيلِ (عليه السلام).



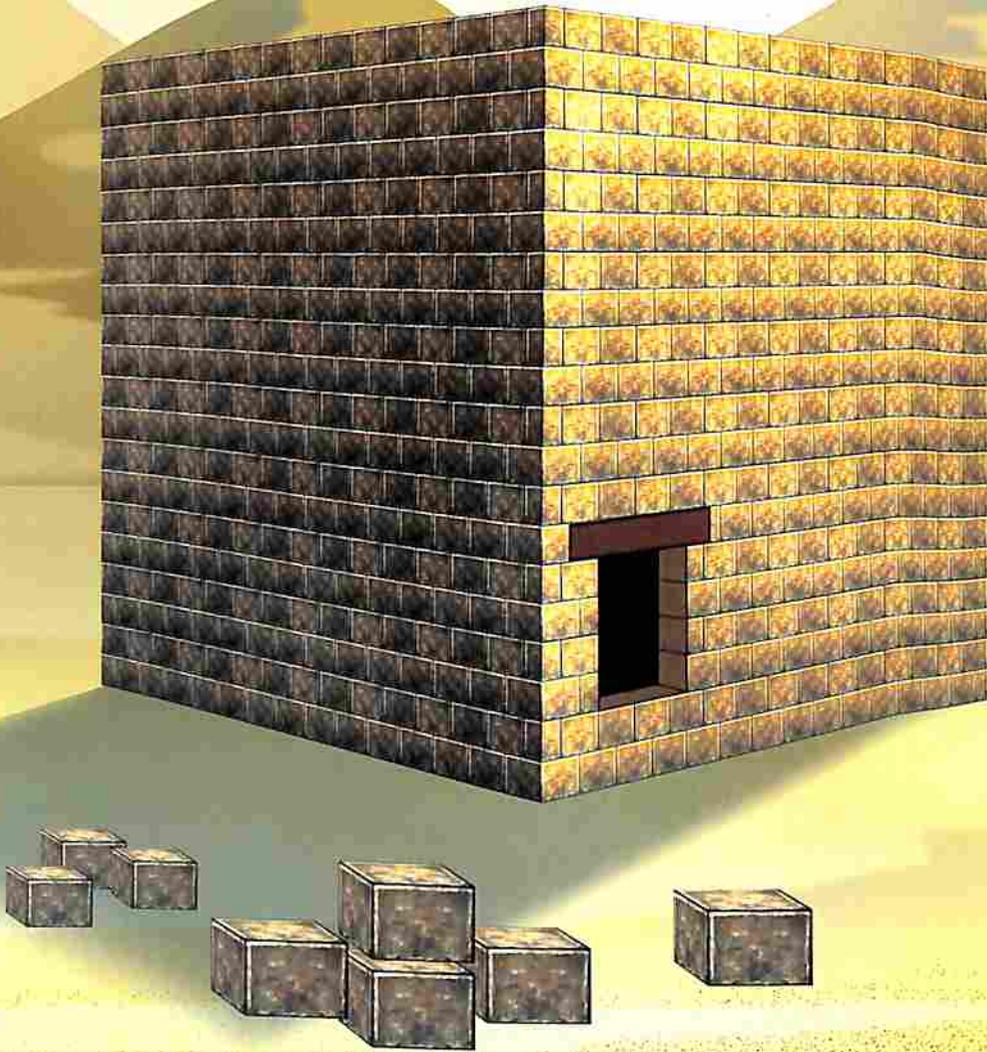
وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ وَكَبِرَ إِسْمَاعِيلُ (عليه السلام)  
وَكَبِرَتْ هَاجِرٌ، ثُمَّ أَذْرَكَهَا الْمَوْتُ، وَتَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ  
(عليه السلام) امْرَأَةً مِنْ قَبِيلَةِ جُرْهُمٍ، وَكَانَ دَائِمًا  
يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالْإِنْفَاقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَفِي إِحْدَى  
زِيَارَاتِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) لِابْنِهِ جَاءَهُ لِأَمْرِ هَامٍ،  
جَاءَ إِبْرَاهِيمُ (عليه السلام) إِلَى وَدَيْهِ إِسْمَاعِيلُ فَقَالَ  
لَهُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ.

رَدَّ إِسْمَاعِيلُ (عليه السلام) : فَأَطَعِ اللَّهَ فِيمَا يَأْمُرُكَ  
بِهِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ (عليه السلام) : وَهَلْ تُسَاعِدُنِي؟ أَجَابَ  
إِسْمَاعِيلُ (عليه السلام) : نَعَمْ، أُسَاعِدُكَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
(عليه السلام) - وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ قَلِيلًا - :  
إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ بَيْتًا وَمَسْجِدًا  
يُعْبَدُ فِيهِ.

وَبَدَأَ الْبِنَاءَ الْعَظِيمَ، أَشْرَفَ بِنَاءٍ عَلَى الْأَرْضِ. كَانَ  
إِبْرَاهِيمُ (عليه السلام) يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ (عليه السلام)  
يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَكَانَا يَدْعُوَانِ اللَّهَ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمَا.

وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنْ يَجْعَلَ فِي الْبَيْتِ  
عَلَامَةً مُمَيَّزَةً لِيَبْدَأَ مِنْهَا الطَّوَّافُ حَوْلَ الْبَيْتِ ، فَقَالَ  
لِإِسْمَاعِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : يَا بُنَيَّ، أَخْضِرْ لِي حَجْرًا

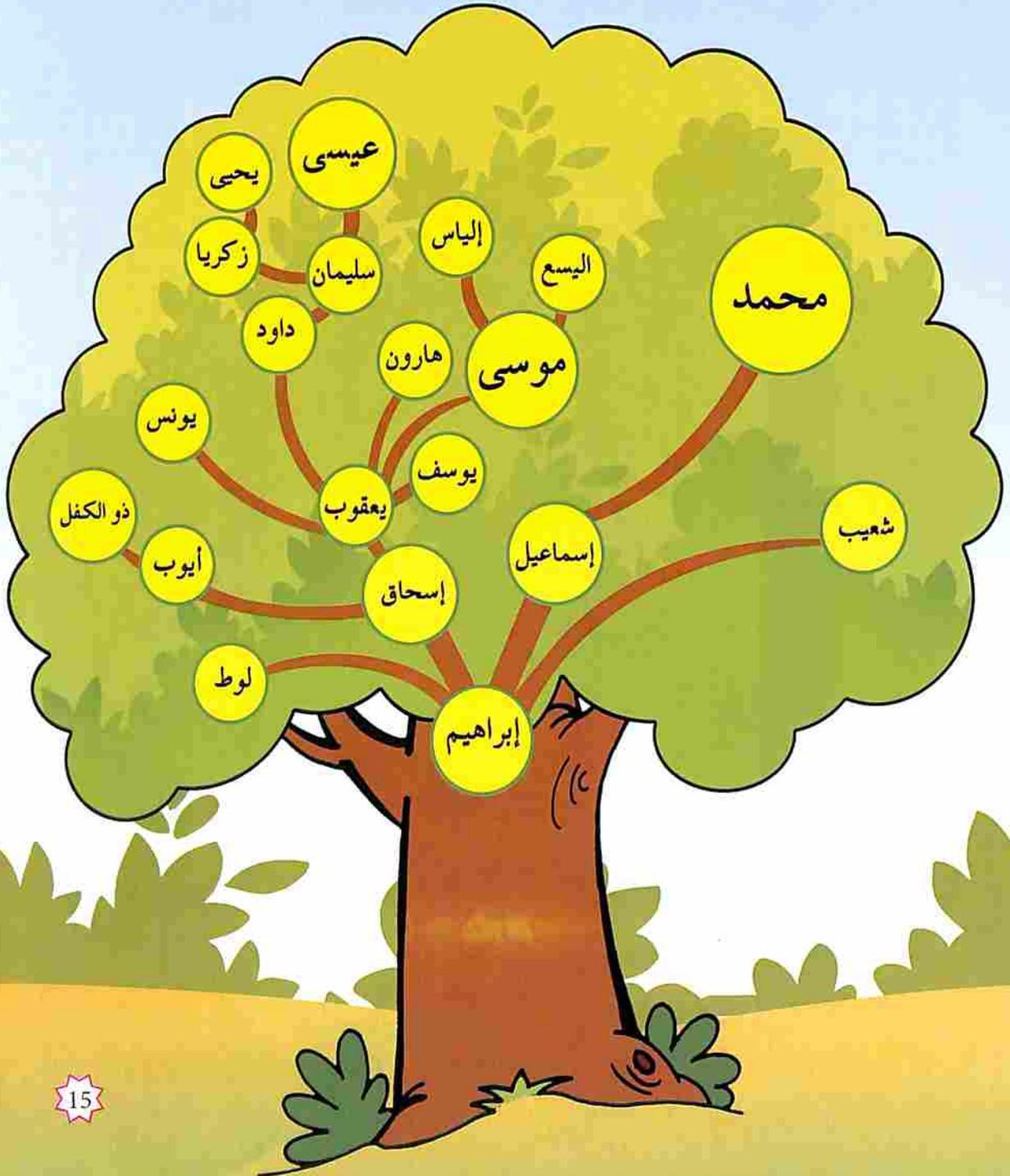


مُمَيَّزًا. فَذَهَبَ إِسْمَاعِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَلَكِنَّهُ تَأَخَّرَ،  
فَجَاءَ جَبْرِيلُ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، فَوَضَعَهُ إِبْرَاهِيمُ مَكَانَهُ  
الَّذِي عَلَيْهِ الْآنَ. وَاسْتَمَرَ الْعَمَلُ حَتَّى اكْتَمَلَ الْبِنَاءُ،  
فَحَمِدَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- رَبَّهُمَا  
وَدَعَاوَاهُ.

وَمَرَّتِ الْأَعْوَامُ، وَاصَلَ إِبْرَاهِيمُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) دَعْوَتَهُ  
إِلَى اللَّهِ حَتَّى وَافَاهُ أَجَلُهُ، وَقَبَلَ وَفَاتِهِ أَوْصَى أَوْلَادَهُ  
أَنْ يَظْلُؤُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ  
وَخَدَهُ.

وَبَعْدَ مَوْتِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تَوَلَّى دَفْنَهُ إِسْمَاعِيلُ  
وَإِسْحَاقُ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-، وَعَاشَ إِسْمَاعِيلُ بَعْدَ ذَلِكَ،  
وَكَانَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلَهُ إِلَى قَبَائِلِ جُرْهُمُ وَأَهْلِ الْيَمَنِ،

فَبَلِّغْ دَعْوَةَ اللَّهِ، وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِهِ حَقَّ الْجِهَادِ، وَلَمَّا  
حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَوْصَى إِلَى أَخِيهِ إِسْحَاقَ مِنْ بَعْدِهِ.



عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ  
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ  
إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَعْرِفْ  
مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا قَالَ فَشَرِبَتْ  
وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ لَا تَخَافُوا  
الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ  
وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

مركز العربي الحديث

103 شارع الامام علي ميدان الاحمالية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس: 26377603

مكتبة قطان

سوريا - حلب - هاتف: 3211096

E-mail:kattan.egypt@hotmail.com